

Epidemics in Arab and Islamic Medical Heritage

Mohamad Yaser Zakkour

Abstract

This paper will focus on an era of time represented in the flourishing Islamic eras, which spanned more than a thousand years, starting with the noble prophetic mission, and ending with the Ottoman era, during that time science was flourishing, while other countries that were not fortunate to arrive The Arab-Islamic civilization was living in the midst of ignorance and distance from every human civilization. Sharia's view of natural disasters and epidemics was that they represented divine punishments for human beings, for sins committed by their hands, in addition to the testimony and mercy of the believers.

Arab and Muslim scholars have paid attention to studying and writing in natural disasters, epidemics and infectious diseases, especially physicians, and they left us a huge heritage that deserves all appreciation. In this paper, I will address two things; the first is causes of epidemics, which were determined by the atmosphere, the earthly, and we will talk about the development of scientific concepts of these reasons, and the beginning of talking about germs.

The second in treatment and precaution; And I will mention in it what was reported about the medical masters under the Arab and Islamic civilization of the various treatments that were in their time, as well as precaution and ways to prevent infection, which many of them are still the norm in our modern era.

Keywords: epidemic, Islam period, quarantine, protection, Ibn Sallum, Arrazy, Ibn Butlan, Heritage.

الأوبئة في التراث الطبي العربي والإسلامي

محمد ياسر زكّور

دكتور في الطب البشري. اختصاص أذن أنف حنجرة، باحث في تاريخ العلوم الطبية، عضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم، عضو اتحاد الكتاب العرب، الجمهورية العربية السورية

الملخص

يركز البحث على حقبة من الزمن تتمثل في العصور الإسلامية المزدهرة، التي امتدت إلى أكثر من ألف عام، ابتداء من البعثة النبوية الكريمة، وانتهاءً بالعهد العثماني، وكانت العلوم في تلك الحقبة من الزمن مزدهرة، بينما غيرها من البلدان التي لم تنل حظاً من وصول الحضارة العربية الإسلامية إليها، فكانت تعيش في خضم الجهل والبعث عن كل حضارة إنسانية. كانت نظرة الشريعة للكوارث الطبيعية والأوبئة على أنها تمثل عقوبات إلهية لبني البشر، من جزاء ما اقترفته أيديهم من معاصٍ وذنوب، إضافة إلى أنها شهادة ورحمة للمؤمنين. ولقد اهتم علماء العرب والمسلمين بالدراسة والتأليف في الكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض المعدية، ولاسيما الأطباء منهم، وتركوا لنا تراثاً ضخماً يستحق كل تقدير. وسوف أتطرق في هذا البحث إلى أمرين؛ الأول في أسباب الأوبئة، والتي كانت تحدّد بالسموية، والأرضية، وستحدّث عن تطوّر المفاهيم العلمية لتلك الأسباب، وبداية الحديث عن الجراثيم. والثاني في العلاج والاحتراز؛ وسأذكر فيه ما ورد عن أساطين الطب في ظل الحضارة العربية والإسلامية من العلاجات المختلفة التي كانت في زمنهم، وكذلك الاحتراز وسبل الوقاية من الإصابة بها، ولعلّ الكثير منها مازال هو المتبع في عصرنا الحديث. التوصيات: الاستفادة من السبل التي كانت متبعة في الحضارة العربية الإسلامية، وتطويرها بمقتضى العصر الحديث بما يتلاءم مع تطوّر التقنيات الحديثة في جميع مجالات الحياة؛ الطبية والإعلامية والبيئية والنقل وغير ذلك. الكلمات المفتاحية: التراث الطبي، الوباء، ابن سلّوم، الحَبّ الإفرنجي، العصور الإسلامية، ابن بطلان، الهواء الوبائي، الرازي، لسان الدين، ابن سينا، الأنطاكي، قسطنطين، الجراثيم.

المقدمة

كانت نظرة الشريعة للكوارث الطبيعية والأوبئة على أنها تمثل عقوبات إلهية لبني البشر، من جرّاء ما اقترفته أيديهم من معاصٍ وذنوب، إضافة إلى أنها شهادةٌ ورحمة للمؤمنين.

ولقد اهتمّ علماء العرب والمسلمين بالدراسة والتأليف في الكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض المعدية، ولاسيما الأطباء منهم، وتركوا لنا تراثاً ضخماً يستحقّ كلّ تقدير.

يتمحور البحث على أمرين؛ الأول في الأسباب، التي كانت تحدّد بالسمائية، والأرضية، وستحدّث عن تطوّر المفاهيم العلمية لتلك الأسباب، وبداية الحديث عن الجراثيم والميكروبات.

والثاني في العلاج والاحتراز؛ وفيه أيضاً سنذكر ما ورد عن أساطين الطبّ في ظل الحضارة العربية والإسلامية حول العلاجات المختلفة التي كانت في زمنهم، وكذلك الاحتراز وسبل الوقاية من الإصابة بها، ولعلّ الكثير منها مازال هو المتبع في عصرنا الحديث.

وسأسلّط الضوء على بعض الرسائل التي كانت مكرّسة للحديث عن الأوبئة في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، وأخصّ الطبيّة منها وما كانت عليه التدابير الصحيّة في ذلك العصر.

وسأبيّن في البحث ما كان عليه الأطباء العرب والمسلمون من الدراية التامة والوعي في التصرّف أثناء الأوبئة من الناحية العلاجية، والوقائية.

وسأذكر في هذه المقالة أمثلة لأقوال بعض الأطباء العرب والمسلمين في ظلّ الحضارة العربية الإسلامية؛ لأنّ جلّ كتب الطبّ القديم تحدّث أصحابها عن الأوبئة.

أمّا موضوع بدايات الحديث عن الأسباب البيولوجية للأمراض الوبائية؛ فسوف

نشير في البحث إلى هذه البدايات التي ظهرت في وقتها .

والمعروف أنّ الأمراض الوبائية Epidemic diseases في الطب الحديث منها جرثومية، ومنها فيروسية، ويندرج تحت اسمها العديد من الأمراض؛ مثل: الكوليرا، والخناق (أو الدفتريا)، وذات السحايا، وشلل الأطفال، والطاعون، والأنفلونزا؛ ومنها المسبب بفيروس كورونا الذي شغل العالم حديثاً، والجذام، والداء الإفريقي أو الزهري، وغيرها .

أمّا ما جاء في كتب الأطباء العرب والمسلمين حول الأوبئة؛ فنذكر منها:

أقوال صالح بن نصر الله الحلبي في الأوبئة

هو صالح بن نصر الله الحلبي المعروف بابن سلّوم (توفي سنة 1081 هـ/ 1670 م)، وهو باش حكيم السلطنة العثمانية (رئيس الأطباء)، عاش في استانبول في زمن السلطان محمّد بن إبراهيم الرابع، وتوفي في استانبول، وقد تحدّث بإسهاب عن الحميات الوبائية والطاعون والحَبّ الإفريقي في زمنه، وذلك في كتابه " غاية الإتيقان في تدبير بدن الإنسان "، فيقول:

الوباء

اسم جنس شامل لجميع الأمراض الوافدة العامة الردية كما قال جالينوس في شرح كتاب إبيديميا، فإنه قال: قد يكون في الوباء إسهال ردي ونزلات وحميات محرقة وغير ذلك من الأمراض الردية .

واختلف الأطباء في الوباء؛ فمنهم من قال: إن التعفن والفساد إذا عرض في الهواء قبل كل بدن من أثره على قدر استعداده؛ فتحصل أنواع الأمراض بحسب اختلاف الاستعدادات، ومنهم من قال: إن الوباء يكون عن كيفية سمية خاصة في الهواء ويسري ويتعدى من إنسان إلى إنسان آخر بالمجاورة أو المقاربة والحلول في مسكن واحد، وأمّا ما ذكره جالينوس من التعفن العارض للهواء وحصول أمراض متنوعة عنه بحسب تنوع

الاستعدادات إنما هو الأمراض الوافدة، وهي أمراض تكون عن تعفن الهواء لأسباب سماوية أو أسباب أرضية ولا تسري من إنسان إلى إنسان سريان الوباء، والدليل على كونه كيفية خاصة اختصاصه ببعض الأقطار دون بعض كالقسطنطينية المحروسة عن الآفات، وكذلك مصر القاهرة، وسريانه أمر ظاهر حتى لو حُملت ثياب من أصابه هذا المرض من بلد إلى بلد آخر لأثرت تلك الثياب في هواء تلك البلدة، وظهر فيها هذا المرض بعد أن كانت خالية منه وذلك معلوم بلغ حد التواتر.

ويبدأ ابن سلوم بعرض آراء من سبقه في آلية حدوث الوباء بقوله:

قالوا: أول تأثر هذه الكيفية إنما هو في القلب والروح الحيواني، ومنه يتعدى إلى جميع البدن، وقال آخرون: إنه إن كان عن كيفية سمّية فلا معنى لاختصاصها بالتأثير في القلب فإنه يجوز أن تؤثر أولاً في عضو آخر كالكبد والمثانة وغير ذلك، ويتعدى الضرر من ذلك إلى جميع البدن، وقال قوم: لا اختصاص لذلك بالقلب فإنه بحسب طريق سريان تلك السمّية في البدن فإن كان بطريق الاستنشاق أثرت أولاً في الدماغ ثم سرت إلى القلب، ومن القلب إلى جميع البدن، وإن كان بطريق التنفس أثرت أولاً في القلب وسرت منه إلى جميع الأعضاء، وقالت طائفة من الأطباء: لا بد من التعفن في عروض هذا المرض فإننا نرى العفونة وأسبابها ظاهرة زمن الوباء. قلنا: ذلك في الأغلب والأكثر وإلا فقد يعرض بدون عفونة بل بطريق السريان فإننا قد نراه مختصاً بأهل محلة دون محلة ومنزل دون منزل.

ثم يضع رأيه في أسباب الوباء فيقول:

الوباء مرض سمي من مادة سمّية سار يسري من القلب إلى جميع البدن وهو مرض حاد مهلك، وأسبابه كثيرة عند الحكماء؛ منها أرضية كتعفن المزابل والمباقل، والروائح المنتنة، والمياه الآسنة، والغدران الطحلبية، والملاحم، والقتلى إذا لم تدفن.

وأما كيفية تأثيره وسريانه وتعديه؛ فهو يكون بحسب استعداد الناس؛ فمنهم من تؤثر فيه السمّية بسرعة، ومنهم ببطء، ومنهم من لا تؤثر فيه شيئاً، وسريانه يكون

بالمجاورة والمقاربة وباللباس بالواسطة أو بغير واسطة .

والحق (والقول لابن سلّوم الحلبي) إنّ عروض الوباء لكثرة المعاصي والزنى واللواطه والظلم وقتل النفس يسلّطه الله على من يشاء من عباده، أو تعفن الهواء، وبعض هذه الأسباب سابقة بعيدة وبعضها أسباب قريبة .

وعلامات الحمى الوبائية: حرارة وحمى شديدة مكربة الباطن هادئة الظاهر، ووجع الرأس والسهر المفرط والعطش الشديد وبرد الأطراف والغشي وتواتر النفس وبتن رائحة الفم والبدن، واختلاف النبض، ويخرج أشياء سمجة، ومن علاماتها أن تعم وتكثر وتكون علامات الوباء ظاهرة في الهواء، والمستعدون لهذه الحمى هم الممتثلون من الأخلاط الرديّة، والواسعو المسام، الضعاف الأبدان .

وقد وضع ابن سلّوم تفريقاً بين الحمّيات الوبائية والطاعون والأمراض الوافدة بقوله في ص 1039: اعلم أنّ الطاعون من الأمراض العامّة الشاملة لأكثر الخلق، المهلكة لأكثر من أصابته منهم، وأما الحمى الوبائية فهي وإن كانت طبيعتها وأعراضها كالطاعون لكنّها أقلّ شمولاً وعموماً، فإنّها كثيراً ما تصيب بعض الناس ويهلك العليل بها ولا يتعدّى ذلك ولا يسري إلى أحد من الناس . والفرق بين الأمراض الوافدة والحمّيات الوبائية - وإن اشتركا في أنّهما يعمّان ويشملان أكثر الناس - أنّ الحمّيات الوبائية مهلكة لأكثر من أصابها، بخلاف الأمراض الوافدة؛ فإنّها وإن كان منها ما يهلك لكن يكون أقلّ إهلاكاً ورداءة، وإنّ السبب فيهما جميعاً فساد الهواء أو المأكولات .

أمّا بخصوص تدبير التحفظ من الوباء؛ فيقول: ويكون ذلك بتدبير المسكن والهواء وتنقية أخلاط البدن، وإصلاح الغذاء والشراب، واستعمال الباذهرات (وهي الترياقات) النافعة بالخاصة لفساد الهواء والوباء، وتدبير المكان يكون بتنظيفه عن القاذورات، وكنسه ورشه بالخلل والماورد، ويُفتح طاقةً إلى جهة الهواء السالم من الهواء الوبائي، ويبخر المكان بالأدوية المناسبة، ومنها زهر الكبريت، وهو المعروف في عصرنا بالسلفا .

ويقول من بين التدابير الكثيرة والعلاجات في زمنهم: واستعمال قليل من الثوم

جيد أيام الوباء وخصوصاً إذا وضع مع طعام الحصرم أو السماق . وكذلك شَمَامات تحتوي على أدوية توضع وتُمسك باليد دائماً⁽¹⁾ .

وثمة مرض اعتبر من الأوبئة في زمن ابن سلّوم الحلبي ؛ وهو (الحبّ الإفرنجيّ) والمعروف في زمننا بالداء الإفرنجي أو الزهري Syphilis وسببه جراثيم لولبية تدعى اللولبيات الشاحبة Treponema Pallidum . تحدّث عنه أيضاً في كتاب " غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان " ، فقال :

الدب الإفرنجي

هو مرض رديّ خفيّ سار يفسد الدم وآلات الغذاء وتضعف فيه القوى ويتولّد عنه أمراض كثيرة، وأوّل ما ظهر هذا المرض بإسبانية من بلاد الإفرنج سنة تسعمائة وأربع من الهجرة⁽²⁾، وكان سبب ظهوره أن جهّز ملك إسبانية عسكرياً في البحر إلى بلاد الدنيا الجديدة (أمريكا)، فذهب العسكر إلى تلك الناحية وتملّكوا بعض السواحل، واختلطوا بأهل تلك الديار، وتصرّفوا في نسائهم وكان بهم هذا المرض، فسرى إليهم هذا المرض بطريق العدوى؛ لكثرة هذا المرض في تلك الناحية، وهو يسري بالمعاشرة والمخالطة، ولبس لباس المبتلى بهذه العلة . وأعظم ما يوجب سريانه وأسرعه الجماع، ولهذا يقال له مرض الجماع .

قالوا: وقد يعرض هذا المرض في الأقطار، ويعمّ خلقاً كثيراً كالوباء والطاعون، وقد يكون على سبيل التوارث .

واعلم أنه ليس لهذا المرض علامة خاصة به لكثرة ما يتبعه من الأعراض التي يشاركه غيره فيها . وقالوا: أوّل ما يبتدئ تظهر حمّى خفيفة وثقل في جميع البدن وكثرة نوم، وقد يعرض صداع ووجع مكسّر في جميع البدن، وأكثر ظهور هذه الأوجاع ليلاً، ويتغيّر لون العليل إلى الكمودة والبياض، ويعرض سواد في محاجر العينين كما يعرض للحبالي، وقد يعرض خوف وسوء خلق وأعراض كأعراض المَلَنخوليا، ثم يظهر في المذاكير والرأس والأنف بثور وقروح رديّة، ثمّ يعمّ أكثر البدن، وقد يسيل المنى من الفرج مع حرقة ونتين رائحة .

واعلم أنه ليس لبثوره شكل معيّن، بل تارة تخرج البثور صلبة كالعدس، وتارة كالدرهم، وتكون مع حكة وبغير حكة، ويكون وسط البثور في الأكثر غائراً، وحولها ناتئاً عالياً، وتكون يابسة كالمسامير، وقد يخرج منها رطوبة لزجة، وقد تخرج كباراً كالدمامل، وقد تشابه الجمرة والفلغموني، وقد تخرج بثور في الفرج، وتتقرّح بسرعة وتبتدئ في الاتّساع والتآكل، ويميل حوالها إلى الكمودة والسواد، وتارة يسقط الشعر في ابتداء هذا المرض، وتارة في آخره، وقد يعرض من ذلك شقوق في الكفّين، وقد يعرض ضربان المفاصل وتعتّدها.

وقال جمهور أطباء الإفرنج: لهذا المرض مراتب أربع؛ فالمرتبة الأولى سقوط الشعر من غير آفة في البدن، والمرتبة الثانية ظهور البثور في بعض مواضع البدن وخصوصاً في الرأس أو في المذاكير، والمرتبة الثالثة كثرة البثور في الرأس وانفجارها بالصديد والمدة، والمرتبة الرابعة أن يعمّ جميع البدن والمفاصل قروح عسرة الاندمال ردية تفسد العظام.

وأردى أنواعه ما ابتداء مع مرض ردي كالصرع والمَلَنخوليا والحَمَى وسدد الكبد، وما صاحبه كثرة النوازل والسعال والسلّ وبحة الصوت والخشم وبطلان الشّم والصمم وسيلان المنّي مع حرقة ووجع المفاصل الشديد، وقد يؤدي هذا المرض إلى الاستسقاء لفساد مزاج الكبد وضعف الهضم، وقد يؤدي هذا المرض إلى حمّى الدقّ لكثرة الحرارة الغربية وضعف الحرارة الغريزيّة، وقد يؤدي إلى السلّ لشدة لذع المواد المنحدرة من الرأس إلى الصدر والرئة، وقد يؤدي إلى إسهال ذريع وقيء مفرط لكثرة الأخلاط الرديّة، والأكثر يهلكون بهذه الأمراض.

وإذا كثر وعمّ في قطر من الأقطار فينبغي أن يحفظ البدن عنه كما يحفظ في زمن الوباء، بنحو استعمال الترياق الكبير والمثروديطوس (من المعاجين المقاومة للسموم. صنعه مثروديطوس، من أطباء اليونان القدامى)، والحَبّ العامّ المسمّى بالإلهيّ (الحَبّ الإلهيّ يستعمل في الأوبئة، منه لابن سينا، ومنه لروفس، ومنه للإفرنج، مركّب من عدّة مفردات)، ومعجون الجواهر المسمّى دياستنا، وفي بعض البلاد يعطى الزئبق حبوباً أو

دهناً. وغير ذلك مما ينفع في الوباء وفساد الهواء⁽³⁾.

أقوال المختار به الحسنه به بطلان (461 هـ)

عاش في بغداد وأنطاكية، وتوفي في أنطاكية سنة (461 هـ / 1066 م)، يقول عن الوباء والهواء الوبائي في كتابه "تقويم الصحة":

والهواء غير المعتدل في جملة جوهره؛ كالهواء الوبائي، وهذا يحدث لشيئين؛ أحدهما مخالطة بخارات تفسد الهواء المستنشق من بحريات تحيط بالمدن، أو من موتان يعرض للبهائم، أو من قبل معركة فتحدث أمراضاً مهلكة. والآخر تغير الهواء من قبل أوقات السنة بأن يصير الشتاء حاراً يابساً عادماً للمطر، والصيف بالضد⁽⁴⁾.

ثم يتحدث عن الهواء الوبائي فيقول:

الهواء الوبائي

الطباع: رديء مهلك، خارج عن الاعتدال غير مناسب للأرواح والقوى.

جيده: ما لم ينقلب جوهره.

منفعته: إهلاك الأعداء.

مضرته: بالحيوان والنبات.

دفع ضرره: بالبخورات المضادة له.

منفعته بقياس؛ الأمزاج: ولا واحد. الأسنان: لا شيء. الأزمان: رديء في

جميعها. البلدان: بأسرها.

الاختبارات

إذا كان في الهواء روائح منكرة، وكثر الجدري والطواعين، فينبغي أن يفرغ إلى الأسراب والسرديد اليابسة، والبيوت البعيدة عن أوساط الأبنية، ورش الأماكن بخل،

وتبخيرها بلبان وورق الآس وسُعد وصندل، ويكثر من أكل الخَلِّ في الطعام وشربه مع الماء، ويبادر إلى تنقية الأبدان واستفراغها بالدواء والفصد، وليكثر من أكل الطين الأرمني المغسول، وشَمَّ ماء الورد والكافور⁽⁵⁾.

أقوال جمال الدين محمد بن إبراهيم المارديني

(833-886هـ / 1429 - 1481م)

وفي كتابه "الرسالة الشهائية في الصناعة الطبيّة" يقول جمال الدين محمد بن إبراهيم المارديني في الباب الثالث والستين (في علاج الوباء والتحرّز منه): الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء؛ لأسباب سماوية أو أرضية؛ يبادر إلى الفصد إن كان السنّ والوقت موافقاً، وإخراج بعض الصفراء، ويقلل من أكل التمر والبطيخ، وكلّ مالح، والسّمك، والجماع، والانتقال إلى مكان آخر، ويبخر بعود الأثل وخشب العرعر والعود، وشَمَّ الخَلِّ والماورد، وأكل طين القَطَاط⁽⁶⁾ نافع بإذن الله سبحانه. ولا يُشرب الماء إلاّ مبغضاً، ويحدّر الجماع على الجملة، وتُجعل الأغذية ممّا عمل بالخلّ والخمر، ويحرّك بدنه قليلاً، وشَمَّ القطران ممّا يذهب وباء الهواء، وينبغي أن يكون الوقوف في الأبنية الرفيعة كالغرف ونحوها⁽⁷⁾.

أقوال أبي بكر محمد بن زكريّا الرازي (313هـ)

يقول محمد بن زكريّا الرازي في كتابه "الحاوي في الطبّ" (في الأهوية والبلدان والمجالس والوباء) عن جالينوس: الأبدان التي تتغيّر عند حدوث الوباء سريعاً هي المملوءة أخلاطاً رديئة، والتي تنحلّ فضولها على ما ينبغي لكثرة الراحة والدعة، التي تسرف في الجماع، وفي كثرة دخول الحمّام، ومنها ما يعسر تغييره، وهي التي لا فضول فيها ولا سُدد، وتستعمل الرياضة، التدبير الجيّد أن يفصد.

ويقول أيضاً: إذا حدث وباء فالأبدان الرطبة تدعن له وتواتيه وتوافقه، وينبغي

حيثُ أن تجفّف، والباردة اليابسة تمنعه وتخالفه، وينبغي أن تحفظ على ما هي عليه. وأمّا سائر الأبدان؛ فما كان منها ممتلئاً فينبغي أن تستفرغ بالفصد، وما كان فيه أخلاط رديئة بالإسهال، وما كان فيه سُدد فبالفتح.

ولأبي بكر الرازي هنا تعريف للأمراض الوافدة (عن جالينوس) في قوله: المرض الوافد هو الذي يعرض في وقت واحد لناس كثير في بلد ما، فإن كان غير قتال سمّي مرضاً وافداً، وإن كان قتالاً سمّي موتاناً.

ويقول أبو بكر الرازي أيضاً (عن أبقراط): إذا فسد الهواء فاجعل المكان المحيط به مضاداً له في كفيته؛ إمّا بالإسخان، أو بالتبريد، أو بالترطيب. وتقدّم إلى الناس ألاّ يغيّروا تدبيرهم إذا كان لم يحدث ذلك عليهم لتدبيرهم، بل للهواء وتغيّره، فانظر ألاّ تقصف الأبدان وتضعفها جدّاً، لكن أنقص من الغذاء قليلاً قليلاً، واجعل ما يدخل البدن من الهواء فيه أقلّ ما يكون، وذلك يكون بترك الأشياء التي تحوج إلى الاستنشاق.

ويقول في المساكن: المواضع القريبة من حرّ البحر أصحّ من غيرها في الأكثر، وكذا التي في الجبال، والمائلة إلى الجنوب وإلى المغرب فإنّها وبائيّة، والمواضع الجبلية العالية أصحّ من غيرها، واجعل أبواب المساكن وكواها شريقيّة؛ لأنّ الرياح التي تهبّ من الشرق أصحّ من غيرها، وحرارة الشمس تلطف الهواء الغليظ الكدر، ولذلك ينبغي أن تعنى ببسط ضوء الشمس في المسكن كلّه فإنّه يلطف هواءه الغليظ، وتكون مرتفعة.

قال: الانتقال من مكان جيّد إلى مكان رديء يُمرض سريعاً، والانتقال من رديء إلى جيّد لا يُمرض.

وقال عن جالينوس: الحمّيات الوبائية تحيّر الأطباء؛ لأنّ العليل لا يحسّ فيها بحرارة، ولا في نبضه، ولا في مائه ما يدلّ على خروج عن الطبيعة، وإن وجد شيئاً من الإعياء والكرب ذهب عنه بالحمّام، وهم مع ذلك يموتون سريعاً، فلهذا تحيّر الأطباء فيها، إلّا أنّ العامّة قد يعلمون بالتجربة فينظرون إلى النفس؛ فإن كان متناً علموا أنّ الحال رديئة.

ويقول الرازي (عن جالينوس): إنّه لما حدث الوباء لم يتخلّص أحد إلا أصحاب الصيد لإدمانهم الرياضة .

ويقول (عن شمعون): إذا كان الوباء فاكنس البيت كلّ يوم، وليرشّ بخلّ وحلتيت، ويؤكل كلّ يوم خبز بخلّ وحلتيت .

وقال (عن روفس): ولا ينبغي أن يسكن في المدينة الضيّقة الأسواق، والمغمّة، بل ينتقل عنها⁽⁸⁾ .

ولأبي بكر الرازي في كتابه (المنصوري في الطب) فصل في الاحتراس من الأمراض المعدية والاحتراس من الوباء يقول فيه :

الاحتراس من الأمراض المعدية: ينبغي أن يفرّ من البلاد التي يقع فيها الطاعون والموتان، وإن كان منزلاً أو عسكرياً فليكن في علوّ وفوق الريح .

ومّا يعدي الجذام والجرب والحُمى الوبائيّة والسلّ إذا جلس مع أصحابها في البيوت الضيّقة أو أسفل الريح . وبالجملة كلّ علّة يكون لها نتن رائحة فليبتاعد عن صاحبها، أو يجلس منه فوق الريح .

في الوباء والاحتراس منه: إنّ الوباء يحدث في أواخر الصيف وفي الخريف، فإذا كانت في الصيف أمطار كثيرة ودام فيه الغيم بالليل والنهار، وكثر فيه هبوب رياح الجنوب، أو كان الهواء فيه راكداً ومدّاً غير متحرّك، وهو مع ذلك جنوبيّ كدر؛ فليحذر اللحم والشراب والحلواء والفاكهة الرطبة والحلوة، والحمام، والاعتسال بالماء الحارّ، وليكثر من أكل الخلّ وما يعمل به، ومن ربوب الفواكه الحامضة القابضة؛ كربّ الحصرم والريباس والرمان والتفّاح والسّماق وحماض الأترج، ويكثر فيه من شرب السّكنجيين (الشراب المتخذ من الخلّ والعسل) الحامض .

وإن لم يكن بدّ من أكل اللحم فليؤكل الدراريج والفراريج واليعاقب ولحوم الجداء والعجاجيل متّخذة بالخلّ أو بماء الحصرم والسّماق ونحوها، والقريص والهلام والمصوص .

ويلزم المجالس الباردة التي أبوابها وكواها نحو الشمال، فإنه بهذا التدبير يمكن أن يتخلص في هذه الحال من أحوال الهواء الوبائي، ومن الجدري والحصبة والطاعون والخراجات الرديئة والحُمّيات المطبقة. وليحترس الصبيان والفتيان وأصحاب الأبدان الحنصبة الحمر الألوان في هذه الحال أكثر من غيرهم.

وإذا كان في آخر الصيف حرّاً شديد وكان الخريف شديد اليبس كثير الغبار وأبطاً المطر والبرد؛ فينبغي أن تبرّد المجالس وترطب بالخيوش ورشّ الماء، ويلزم الدعة والراحة، ويحذر التعب والجماع، ويغتسل بالماء البارد، ويشرب ماء الثلج، ويؤخذ بالغدوات السويق بالسكر، والماء المبرّد بالثلج، ويحذر الأغذية المسخّنة، والشراب، إلا بالماء الكثير البارد، ويكثر من أكل القثاء والخيار والقرع والفرفير ونحوها من الأغذية المبرّدة، ويحذر التعرّض للشمس، والصوم، والمدافعة بالجوع والعطش، ويلزم القيلولة في الأماكن الباردة، والأغذية التي ذكرناها قبل، وأن يشرب ماء الشعير في هذه الحالة كل يوم فإنه نافع، وخاصة لأصحاب المزاج الحارّ اليابس، وليؤكل من السمك الطريّ المكتب على النار، ويؤكل من العنب الذي فيه مزازة، وخاصة أصحاب الأمزجة الحارّة اليابسة؛ فإنهم أحوج الناس إلى هذا التدبير، وبه يمكن أن يتخلصوا في هذه الحال من الحُمّيات المحرقة الحنيئة.

وأما إذا كثرت الشهب والبرقان، وكانت تهبّ رياح؛ فيمرض في هذا الزمان بعقبها خلق كثير من الناس والبهائم، ويظهر بالليل في الهواء شعاع، ويسرع فيهم الموت إلى من يمرض من هؤلاء، وكان المرضى تضيق أنفاسهم وتبخر أفواههم، ويجدون غمّاً وكرباً ولهبياً شديداً وعطشاً، وتبرّد أطرافهم ويتقيّون، ويختلفون أشياء سمجة مختلفة؛ فإن كان ذلك فإنه ينبغي أن تجتنب الثمار والبقول الكائنة في ذلك الوقت، وشرب الماء الظاهر على وجه الأرض، وتلزم البيوت، ويهرب من الهواء الحارّ إلى الهواء البارد، ويرشّ البيت في كل يوم بماءٍ وخلٍّ ممزوجين.

وإن كان مع ذلك في الهواء شبيه بريح عفن ومنتن؛ فلتبخّر البيوت بالصندل والكافور، وبرشّ ماء الورد، ويرسل على باب البيت سترٌ قد بلّ بماء ورد، ويبخّر البيت

بالقسط والكندر والميعة والعود والسكّ، أو بالصندل والكافور، وتجعل الأغذية من الخلل والعدس والسّماق والقريص والهلام والحصرم، ويتجرّع الخلل والماء ممزوجين، ويهجر الشراب. وقد ينفع في هذه الحال أن يؤخذ كل يوم قرص من أقراص الكافور، ويشرب الماء بالثلج، ويغتسل بالماء البارد.

قال: وقد ذكر رجل من قدماء الأطباء أنه إن أخذ من الصبر جزآن، ومن الزعفران والمرّ كل واحد جزء، وسقي منه في إبان الوباء كل يوم اثنا عشر قيراطاً مع أوقية شراب ممزوج انتفع به جداً، وأنه لم يرَ أحداً ممّن شرب هذا الدواء في إبان الوباء إلا وسلم.

قال الرازي: وذكر جالينوس أنّ شرب الطين الأرمني بالخلل والماء ينفع في هذه الحال جداً، وأنّ ترياق الأفاعي ينفع جداً. ومما ينفع أن يتبخّر به - في حال عفن الهواء - القسط والكندر والميعة والعود والسكّ والصندل والكافور والمرّ⁽⁹⁾.

قول سعيد بن هبة الله البغدادي

(436 - 495 هـ / 1044 - 1101 م)

يقول سعيد بن هبة الله البغدادي في كتاب "المعني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض": الحمى الوبائية؛ سببها: من فساد الهواء. وأعراضها: يستدل على الحمى الوبائية بالعطش، والكرب العظيم، وتواتر النفس، والقيء الرديء، والبراز السمج.

وفي التدبير يقول: علاج الحمى الوبائية يكون باستفراغ البدن - إن كان الدم غالباً - بالفصد، وإن كان بعض الأخلاط الأخر ظاهرة؛ فبالتنقية، وأصلح المزاج من بعد الاستفراغ. وتنقية أخلاط الجسم يكون باستعمال المشروبات المبرّدة التي تستعمل في الحميات الحادة، واستكثر من الربوب القابضة؛ كرب التفاح، ورب الحصرم، ورب الرمان.

وأطعم المريض الفواكه المبرّدة؛ كالكمثرى، والسكنجيين الساذج، والرمان، والتفاح، والسفرجل. واسقه ماء التمر هندي، والسكنجيين الرماني، ومزجاً بشرب ماء

بزر بقلّة بماء الرمان المزّ والسكنجبين الساذج، وأعطه في السحر أقراص الكافور برّب الأترج، وامسح صدره بالصندل والكافور وماء الورد، وأسكنه في البيوت الباردة، وافرش فيها ورق الكرم والخلاف، وبخرها بالصندل والكافور، ورش في زوايا البيت ماء الورد والخلّ. واجعل الغذاء قابضاً مطفئاً حدّة الدم؛ كالسماقية، والرمانية، وامنعه من دخول الحمّام، ومزّه بالاغتسال بالمياه الباردة، وخوفه من الأغذية الحارّة والحلوى (10).

أقوال لسان الدين بن الخطيب (776 هـ / 1374 م)

وفي مقالة "مقنعة السائل عن المرض الهائل" وهي مقالة في الطاعون، يقول لسان الدين محمّد بن عبد الله بن الخطيب السلمانيّ عن الطاعون: هو مرض حادّ حارّ السبب، سمّي المادّة، يتّصل بالروح بدءاً بوساطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم، ويحيل رطوباته إلى السميّة، وتتبعه الحمى ونفت الدم، أو يظهر عنه خُراج من جنس الطواعين.

وفي العلاج يقول: هو على ضربين؛ أحدهما ضرب يقصد به التحرّز منه قبل وقوعه، وذلك باستفراغ المادّة الزائدة، وإصلاح الأغذية بأن تكون معتدلة مائلة إلى البرد والتغليظ، وإصلاح الأهوية والمجالس بالطيوب الباردة والرياحين.

والثاني؛ وهو الأجدى، ويكون باجتناّب مظانّ الفساد من المريض والميت، أو ثوبه، أو آنيته، أو آله، أو سكنى محلّه، أو مجاورة البيت الذي فشا في أهله. ومتى دعت الضرورة إلى بعض ذلك كانت المخاطرة بتوقُّ وإمساك تنفّس، والإكباب على مشموم يتحلل منه غمامة تغلب سورة السمّ، وأخذ أعالي الرياح على محالّ الآفة من أعظم أسباب النجاة بإذن الله.

وضرب يقصد به علاج المرض بعد استقراره، وحسب أطواره.

وفي معرض حديثه عن الاستعداد للإصابة بالوباء فيقول: الاستعداد تهيوّ شيء لقبول شيءٍ بمناسبته ومشاكلته، فإذا اتفق أن يكون المزاج الشخصيّ قريباً في عرّضه من مزاج الوارد السميّ مستعداً قبله، ومال إليه من غير مدافعة ولا ممانعة، وإن اتفق أن يكون

بعيداً منه في عرض مزاجه، قاومه مقاومة الضديّة، ومانعه وتعاصى عليه قبوله .

وقد يكون هذا البعد خلقة للمزاج، أو يحصل بالعلاج، لذلك كثير من المباشرين للمرض سلموا من مضرته مع الملازمة والقرب للكثير من المرضى، وهلاك آخرين ممن لم يباشروا أو باشروا مباشرة يسيرة، وعلة السلامة أو العطب بقدرة الله إنّما هي الاستعداد أو عدمه .

أمّا في موضوع العدوى؛ فيبرهن ذلك بقوله: فإن قيل: كيف نسلم دعوى العدوى وقد ورد في الشرع نفي ذلك؟ قلنا: وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحسّ والمشاهدة والأخبار المتواترة، وهذه موادّ البرهان: (. . . وقوع المرض في الدار أو المحلّة بثوب أو آنية، حتى إن القرط أتلف من علّق بأذنه، وأباد البيت بأسره . . .) .

قال: وتواترت الأخبار بسلامة أماكن لا تطوّها الطرق، ومنقطعة عن الناس، ولا أعجب لهذا العهد من سجن الأسرى من المسلمين أنقذهم الله بدار صنعة⁽¹¹⁾ إشبيلية، وهم ألوف، لم يُصِبْهم الطاعون، وقد كان يستأصل المدينة⁽¹²⁾ .

أقوال أبي سهل الجرجاني (390 هـ / 1000 م)

ولأبي سهل عيسى بن يحيى الجرجانيّ المسيحيّ شيخ ابن سينا ومعلّمه صناعة الطبّ، يقول في كتابه الطبّ الكلّيّ عن الأماكن الأكثر عرضة للأوبئة: كلّما كان المسكن في موضع أرفع كان أبرد، إلّا أنّه أصحّ وأجود تنفساً، وكلّما كان في موضع أخفض كان أسخن وأشدّ اختناقاً، وأردأ أبخرة، ومتى كان مسكنٌ يجاور الجبل من جهة، والبحر من جهة، كان نديّاً رطباً؛ لأنّ الرياح تطرد الأبخرة إليه فيحجرها الجبل عن النفوذ فتجتمع، فإن كان المسكن يابساً صخريّاً لم تضرّه تلك الأبخرة، وإن كان رطباً أضرتّ نداوتها، وإن كان حارّاً تولدت عفونات - خاصّة إن كان المسكن في وهدة لا متنفس لها، فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الجبل من جهة الشمال، والبحر من جهة الجنوب كان المسكن وبائياً ممرضاً، والمسكن المحصور بين الجبال إن كان يابساً صخريّاً كان صحيحاً، وإن كان رطباً كان رديئاً .

وفي معرض حديثه عن أنواع الأهوية يقول: والهواء المحصور في البيوت أومدُّ وأزخى للبدن، وأسرع قبولاً للعفونة من الهواء المكشوف للسماء، خاصة ما كان منه في موضع عالٍ تخرقه الرياح؛ اللهم إلا أن يكون جوهر الهواء قد فسد، أو اختلط به بخار رديء- كما يكون ذلك في أوقات الوباء، فعند ذلك يكون الهواء المحصور في البيوت أصح وألف للبدن، وأبعد من مخالطة الأشياء الوبائية، وأطوع لقبول الإصلاح.

ومتى حدثت في الهواء حالة خارجة عن الطبع؛ فينبغي أن تجعل تدبير الأبدان مضادة لتلك الحالة، خاصة في الأمزجة والأسنان (الأعمار) الشبيهة بها؛ لأنها تفرط عليها فتخرجها عن الصحة وتوقعها في الأمراض، وأما الأبدان المضادة لها فإنها بمنزلة الدواء لها⁽¹³⁾.

أقوال ابن سينا في الوباء (428 هـ)

يقول الشيخ الرئيس الحسين بن علي بن سينا في كتابه القانون في الطب: قد يعرض للهواء استحالة في كيميائه إلى حرّ وبرد، واستحالة في طبيعته، والهواء لا يعفن على حال بساطته، بل لما يخالطه من أبخرة رديئة تمتزج به، وتحدث للجملية كيميائية رديئة.

وربما كان ذلك بسبب رياح ساقطت إلى الموضع الجيد أدخنة رديئة من مواضع نائية فيها بطائح آجنة، أو أجسام متجيفة في ملاحم، وربما كان السبب قريباً من الموضع جارياً فيه.

وربما عرضت عفونات في باطن الأرض لأسباب لا يشعر بجزئياتها فأعدت الماء والهواء، والحميات الحادثة بسبب الهواء اليابس أقل من أمثالها الحادثة من الهواء الرطب، إلا أن الصفراء تكون في الهواء اليابس. وأما الوبائية فتكون من الهواء الكدر الرطب، والحميات في الهواء الرطب أكثر لكنّها أقل حدة وأطول مدة، أما في الصيف اليابس القليل المطر فتكون أقل حدوثاً وأكثر حدة وأسرع فضلاً.

وفي معرض الحديث عن أعراض الحمى الوبائية تكاد تكون مماثلة لما هو معروف في عصرنا الحديث، ولاسيما الوباء المسمى كورونا، فيقول ابن سينا: هذه الحمى تكون هادئة

الظاهر مكربة الباطن، في الأكثر مهلكة، يستشعر منها حرافة واشتعال قوي، ويكون معه عظم النفس وعلوه وتواتره، ويضيق كثيراً، وينتن كثيراً، وشدة عطش، وجفوف لسان، وقد تكون مع غثيان أو سقوط شهوة، ووجع فؤاد وعظم طحال، وكرب شديد، وتلمل، وربما كان سعال يابس، وسقوط قوة، وغشي، واختلاط عقل، ويحدث قلاع وقروح، ويكون النبض في الأكثر متواتراً صغيراً، ويكون برازه ليناً سمجاً غير طبعي.

ويذكر من العلامات التي على سبيل المقارنة للسبب؛ مثل أن ترى الضفادع قد كثرت، والحشرات المتولدة من العفونة قد كثرت، ومما يدل على ذلك أن ترى الفأر والحيوانات التي تسكن قعر الأرض تهرب إلى ظاهر الأرض سدره مسمدرة (سريعة في مشيها)، وترى الحيوان الذكي الطبع مثل اللقلق ونحوه يهرب من عشه، ويسافر عنه وربما ترك بيضه⁽¹⁴⁾.

أقوال داود الأنطاكي (942 - 1008 هـ)

يقول داود بن عمر الأنطاكي في كتابه " نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان "، في معرض حديثه عن تدبير الأسفار وحين فساد الماء والهواء، والتغيرات الطارئة: وما يصلح ذلك من التدابير؛ كالبصل والثوم والنعناع، فينبغي أن لا يتركها ولو شماً⁽¹⁵⁾.

مقالة قسطا بن لوقا في الاحتراس من النزلة

(205 - 300 هـ / 820 - 912 م)

لقسطا بن لوقا البعلبكي مقالة في الاحتراس من النزلات الشتوية، وكيفية الوقاية منها، وهي تندرج تحت الوقاية من الأوبئة الشتوية، ويشبه ما يستعمل في العصر الحديث من اللقاحات للفيروسات والجراثيم المحتملة قبل دخول الشتاء، فيقول في ذلك: إن التدبير الذي أرجو أن يؤمن معه الزكام والنزلات في الشتاء، ينبغي أن يجري الأمر فيه في الخريف هذا المجرى، يتبدى في أول الخريف بأخذ شربة من الإهليلج بأيارج تاذوريطس، ويتبع ذلك بفصد العرق الأكحل، وإن جعل أيارج أركيغانس وأيارج لوغاذيا⁽¹⁶⁾ مع

الإهليلج كان ذلك كثيراً جداً، وأقوى أمناً من حدوث النزلات والزكام في الشتاء، إن شاء الله .

كما ينصح باستعمال الأشياء الموضعية لتقوية الجيوب الأنفية والجهاز التنفسيّ لتهيئتها لمقاومة النزلات الشتوية ولاسيّما في الأوبئة، فيقول: والذي ينبغي أن يتعالج به ليجذب الفضول من الرأس (يقصد الجيوب) استعمال البخور بالماء الحارّ لينقي الرأس من الفضول البلغميّة والبخارات الرديّة، وأحمد ما يستعمل من هذه المياه التي يتبخّر بها هذا البخور الذي نصّفه؛ يؤخذ من البابونج وإكليل الملك والشيح والقيسوم، ويجعل ذلك في قمع، ويصبّ عليه عشرون رطلاً من الماء، ويسدّ القمع سداً وثيقاً ويغلى غلياناً كثيراً، أو توضع بندقة من العود الهندي والعنبر على جمر، ويوضع عليه قمع مكبوب، ويدخل طرف القمع في الأنف حتى يرتفع البخار في أنبوب القمع إلى الأنف، وينحى مدة حتى يستريح ثم يعاد ذلك مراراً، فإنّه يقوّي الدماغ الضعيف (الجيوب الأنفية) ويسخّن الدماغ البارد، ويحلّل الفضول الغليظة، وينضح الفضول اللينة المجتمعة فيه، ويجذب الأخلاط الرديّة(17).

تطبيق التدابير الصحيّة في الأوبئة

إن ما ذكره الأطباء العرب والمسلمون من تعليمات وتوصيات حين حصول الأوبئة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان يتوجّب على السلطات تنفيذ تلك التعليمات الناظمة للاحتراز من الأوبئة حين وجودها، ومنع التلوّث بشكل دائم، وذلك من خلال السلطة التنفيذية التي تقوم بفرض ما يتوجّب لحفظ صحّة الإنسان .

وفي تاريخ حضارتنا العربيّة والإسلاميّة أمثلة كثيرة على ذلك؛ منها ما جاء في كتاب " معالم القرية في أحكام الحسبة " لابن الأخوة محمد بن محمد القرشيّ (648-729 هـ / 1250-1329 م) الباب الثاني عشر- في الحسبة على الفرّانين والخبّازين، قوله عن وجوب اللثام عند العجن: " ولا يعجن العجّان بقدميه ولا بمرفقيه لأنّ في ذلك مهانة للطعام، وربّما قطر في العجين شيء من عرق إبطيه وبدنه، ويكون ملثماً أيضاً؛ لأنّه ربّما

عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين، ويشد على جبينه عصا بيضاء لئلا يعرق فيقطر منه شيء، ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجين، وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان على يده مذبة يطرد عنه الذباب". (18)

ومن ناحية أخرى اتخذ القائمون على العمل التدابير اللازمة في حال وجود مرض معد بين مسافرين قادمين من بلد إلى بلد آخر، فمن ذلك ما جاء في رحلة ابن حمادوش الجزائري (1107 هـ - ... / 1695 م - ...) توفي بعد حوالي تسعين سنة، (الحجر الصحي على مركب حجّاج من الإسكندرية) يقول فيه: وفي ثالث رجب الموافق آخر يوم من يولييه قدم علينا مركب من اسكندرية بالحجّاج، وفيه الوباء، فمنعهم الباشا الدخول، حمية من أن يقوم ممرض على مصحّ، إلى ثامن عشر (جمادى الأولى 1157 هـ)، موافق خامس عشر أوغشت (1744 م) أذن لهم في الدخول، بعد تحقّق سلامتهم من المرض المذكور (19).

وكذلك في كتاب "إنحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء" لحمدان بن عثمان الجزائري (1253 هـ / 1836 م)، يتحدّث فيه عن ترتيب الاحتراز في العهد العثماني، الذي التزمه الفرنج وسمّوه (كرنتين) وهو مبني على الاعتناء واستواء الأمير والحقير، وعدم مراعاة الخواطر، والمعتمد في ترتيبها هو أن لهم في كلّ بلدة قناصل، ووظيفتهم أن كلّ سفينة تسافر من البلاد التي يكونون بها هو أن يكتب كلّ واحد منهم للسفينة التي من جنسه ورقة مهور، يذكر فيها عدد من في السفينة وصفاتهم، ويبين أمر الوباء؛ هل له أثر في تلك البلدة أو ما يجاورها أم لا؟ وهل ورد إليها سفينة من بلاد بها الوباء أم لا؟ إلى آخر التفاصيل.

وأما السفن التي تقدم عليهم فإنها على طبقات؛ الأولى: كلّ من أتى من بلدة قريبة وفيها كرنتين مستوفي الشروط فهؤلاء يدخلون بغير كرنتين. والثانية: كلّ من أتى من بلدة كذلك إلا أنها بعيدة، فيلزمونهم بأيام قلائل، لاحتمال كونهم تخالطوا في طريقهم مع غيرهم وكتموا ذلك. والثالثة: كلّ من أتى من بلدة لا كرنتين فيها ولا ممرض، أو أن لها كرنتين غير مستوفي الشروط، وليس فيها ولا فيما يجاورها مرض، فيلزمونهم

بنحو عشرين يوماً كرتين، وإن كان المرض فيما يجاورها فحكمها حكم من كان الوباء بأرضهم. والرابعة: كل من أتى من بلدة بها أو بما يجاورها المرض ولم يظهر أثره في سفينتهم، فيلزمونهم بنحو شهرين مع غاية التحرز منهم. والخامسة: كل من ظهر المرض في سفينتهم ففي أكثر الكرتينات يطردونهم، وأمّا في الكرتينات المحكّمة؛ فيأمرونهم بالنزول مجرّدين، ويحرقون السفينة بما فيها أو يغرقونها- على ما بلغنا، ويغرمون قيمتها لأربابها من بيت مالهم، ولا أتحقّق صحّة ذلك، ويعطون القادمين ثياباً آخر وينزلونهم في موضع الكرتين للمراقبة والمعالجة التي تمتد إلى ثلاثة أشهر أو أكثر (20).

بداية الكلام عن الجراثيم والميكروبات

أمّا بداية الكلام عن الجراثيم؛ فلعلّه كان في (كتاب الأهوية والمياه والبلدان) لأبقراط، استخرجه إلى العربية الدكتور شبلي شُمَيْل، عام 1885م، وجاء فيه أيضاً عن لسان أبقراط فيما يخصّ خطورة النوازل على الطاعنين في السنّ فيقول: (. . . ويحدث للطاعنين في السنّ النوازل التي قد تُميت البعض . . .).

أمّا في معرض الحديث عن الجراثيم حيث يقول الدكتور شبلي شُمَيْل في مقدّمة الكتاب وفي حديثه عن علماء الطبيعة: . . . بعد فراغهم من مبحث الجراثيم المحوّمة عليه الأفكار اليوم، والمتّجهة صوبه الأنظار، واستقرارهم فيه على الحقّ الراهن منه، ولعلّ هذا المبحث الخطوة الأولى نحوه؛ لأنه إن صحّ أنّ الجراثيم سببُ الأمراض، وجب أن يُبحث في ما يسببها من الأحوال الطبيعيّة كذلك، وفي تحولاتها أيضاً، وهو مبحثٌ واسع جدّاً، كثيرُ الفائدة، ولعلّه لا يمضي زمنٌ طويلٌ حتّى يلّمعَ شهابُه ويُفتحَ للباحثين بابُه (21).

خاتمة

كانت الأوبئة وما زالت شاغلة العالم أجمع، من أطباء وعلماء ومفكرين وحكّام وسياسيين، في القديم والحديث، ونادت كلّ الشرائع والأنظمة والقوانين إلى الاحتراس منها في الوقاية والحظر والحجر، إلى كثير من الاحترازاات الطبيّة اللازمة من وقاية ومنع

انتشار وتقوية مناعة جسم الإنسان لمقاومة الأوبئة .

وثمة نقطة أشرت إليها تثير التساؤل كثيراً، وهي قول المخترار بن بطلان في حديثه عن الهواء الوبائي، حيث يقول من منفعه: " إهلاك الأعداء "، فكيف يكون ذلك في عصره قبل حوالي ألف عام؟ أو كيف يكون ذلك في عصرنا الحديث؟ هل هو بترك ذلك الوباء يعثو في مناطق الأعداء؟ ومن هم الأعداء؟ وهل يشبه هذا ما يجري في عصرنا الحديث من احتمال اصطناع ميكروبات تستخدم كسلاح بيولوجي؟ إشارات استفهام، وتساؤلات تفرض نفسها .

الهوامش والمراجع

- (1) الحلبي، صالح بن نصر الله: غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان، تحقيق: د. محمد ياسر زكور، بيروت: دار الكتب العلمية، 2018، ص 877.
- (2) (1501م). وفي (غاية البيان): ظهر في آخر القرن الثامن. ويقول داود الأنطاكي: وهو مرض عرف من أهل إفريقية أولاً وتناقل فرئياً بجزيرة العرب سنة سبع وثمانمائة (1404م)، ولم تذكره الأطباء فألحقه المتأخرون بالنار الفارسي. الأنطاكي: النزهة المبهجة، ج2، ص 179.
- (3) غاية الإتقان: ص 945.
- (4) ابن بطلان: تقويم الصحة، تحقيق: الدكتور محمد ياسر زكور، لم يطبع بعد، ص 517، ومخطوط المكتبة البريطانية برقم 1347، Or 41/41 / ظ / ب.
- (5) تقويم الصحة ص 542 عن 42 / ظ / ب.
- (6) طين القطاط: هو الطين النيسابوري بلغة أهل اليمن. وشرحها يطول في الرسالة الشهابية.
- (7) المارديني، جمال الدين محمد بن إبراهيم: الرسالة الشهابية في الصناعة الطبية، تحقيق: الدكتور محمد ياسر زكور، لم يطبع بعد، بيروت: دار البارودي، 833 - 886 هـ / 1429 - 1481 م، ص 285.
- (8) الرازي، أبو بكر: الحاوي في الطب، مراجعة: محمد محمد إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000، ص 2313 وما بعد.
- (9) الرازي، أبو بكر: المنصوري في الطب، تحقيق: الدكتور محمد ياسر زكور، بيروت: مؤسسة الرسالة-ناشرون، 2019، ص 293.
- (10) البغدادي، سعيد بن هبة الله: المغني في تدبير الأمراض، تحقيق: الدكتور محمد ياسر زكور، جدة: دار المنهاج، 2011، ص 623.
- (11) هو مكان يحجز فيه الناس.

- (12) السلماني، محمد بن عبد الله: مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق: حياة قارة، الرباط: دار الأمان، 2015، ص 61، 72.
- (13) المسيحي، أبو سهل عيسى بن يحيى: الطبّ الكليّ، (361-401 هـ / 972-1010 م)، مخطوط برلين 265، 25/ ظ، 56/ و.
- (14) علي، ابن سينا الحسين: القانون في الطب، حواشي: محمد أمين الضناوي، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999، ص 87.
- (15) الأنطائي، داود بن عمر: نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، تحقيق: الدكتور محمد ياسر زكور، دمشق: وزارة الثقافة، 2007، ص 159.
- (16) هذه الأيارج أدوية منسوبة إلى مبتكريها من أطباء الإغريق؛ لوغاذيا وأرخيجانس وثاذوريطس.
- (17) زكور، محمد ياسر: " قسطا بن لوقا في الاحتراس من النزلة "، مجلة تراث الإمارات، نادي تراث الإمارات: العدد 98، 2007، ص 50. ومخطوط نسخة بودليان بأكسفورد برقم MS. Hunt 164 (80/ ب، 81/ أ).
- (18) القرشيّ، الأخوة محمد بن محمد: معالم القربة في أحكام الحسبة، الباب الثاني عشر- في الحسبة على الفرّانين والخبّازين، تحقيق: محمد شعبان وصديق المطيعي، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1976، ص 154، ومخطوط جامعة الملك سعود برقم 5023، 60/ ظ).
- (19) الجزائري، ابن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق: الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1983، ص 121.
- (20) الجزائريّ، حمدان بن عثمان: إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء، المترجم في دار الطباعة السلطانية من حضرة القسطنطينية العظمى، نيو جيرسي: مكتبة جامعة برنستون، ص 41.
- (21) أبقرط: كتاب الأهوية والمياه والبلدان، استخرجه إلى العربية الدكتور شبلي شَمَيْل، القاهرة: مطبعة المقتطف، 1885، ص 7، ص 38.

مجلة الشريعة الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تُعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور : عبدالرزاق خليفة الشايحي

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

- * تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
- * تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوى شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
- * تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
- * تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص ب ١٧٤٢٣ الخالدية 72455 الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ فاكس: ٢٤٨١٠٤٢٤

العنوان الإلكتروني: E-mail - jsis@ku.edu.kw - الاشتراكات - هاتف: ٢٤٩٨٦٠٦١ - 8908 - 1029 issn:

alsharia_ku

http://pubcouncil.kuniv.edu.kw.JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى: دار المنظومة www.mandumah.com

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية: EBSCO Publishing Products